(٧) الاختـــلاط

أو فرص التعارف بين الجنسين فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا »

صدق الله العظيم

الإختلاط

أو فرص التعارف بين الجنسين فى الإسلام

قضية الاختلاط هى إحدى المشاكل الهامة التى تختلف الآراء حولها فى مجتمعنا الإسلامى المعاصر إختلافاً شديداً بين مؤيد ومعارض .

والواقع أن هذا الاختلاف مرجعه إلى الخلط بين التقاليد الموروثة وبين تعاليم الدين . . وكما ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب فإن التقاليد التى نتوارثها عن الأجداد والسلف قد يكوى فيها الخطأ والصواب . . والباطل والحق . . وقد تكون وصلتنا عن مراحل التخلف والجهل . . فهى لاتستحق منا التقديس ولا التقيد بها . .

أما الدين فإنه تعاليم سماوية لايأتيها الباطل . . لأنها منزلة من عند الله . . وعند مناقشة قضية الاختلاط دينياً يجب أن نميز بين أمرين هامين . .

ـ الاختلاط والخلوة : فكثيراً ما تختلط المفاهيم بينهما . . وكثير من الناس يهاجم الاختلاط ويحرمه وهو

يقصد الخلوة . . ولذلك نقول إن الخلوة حرام بنص شرعى . ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يخلون بامرأة : إلا مع ذى محرم » متفق عليه . فهذه الخلوة متفق على تحريمها . أما الاختلاط فمعناه تواجد المرأة فى الحياة العامة وفى سائر نشاطات المجتمع . . وهذا أمر قد أباحه الإسلام بل ووضع له القواعد والتنظيمات التى تصونه وتحميه . . ومن التنظيمات التى وضعها الإسلام للاختلاط ما يتعلق بالمكان والزمان والبيئة والملابس ونوع الحديث

— فالمكان الذى يسمح فيه بتواجد المرأة المسلمة يجب أن يكون وقوراً وجاداً . . مثل أماكن العبادة ودور العلم . . ومثل الزيارات العائلية ، ومثل ميادين الجهاد . . ومثل مجالات النشاط الاجتماعى والرياضى والترفيه البرىء .

— ويجب فى كل هذه الأحوال أن تراعى المرأة الزى المحتشم وعدم التبرج فى الزينة إلا بما أذن به الشرع وحدده

— ويجب أن يكون الحديث المتبادل بينها وبين الرجال بالقول المعروف والحكمة والموعظة الحسنة . . فلا تحضر مجلساً فيه ألفاظ بذيئة أو دعابة ماجنة ، أو كلام خليع

— إلى جانب ذلك فيجب أن تكون الفتاه المسلمة والشاب المسلم على خلق إسلامى وتربية إسلامية تحيطهما بسياج من العفة وصيانة النفس عن الهوى والزلل . .

فى ظل هذه الظروف فإن الإسلام لايمنع الاختلاط بل يشجعه . . فالاختلاط العفيف الشريف أمر حيوى لكل فتى وفتاه لفرص التعارف واختيار كل منهما من يناسبه فى الخلق والطباع والميول والعادات . .

وقد يقول قائل إن فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف كل من الرجل والمرأة طبيعة الآخر . . وإنه بذلك لا يكون هناك مبرر للإختلاط قبل الخطوبة . . وهذا خطأ والمفروض أن الخطوبة هى مرحلة الحسم قبل الزواج . .

فالشاب المتعلم لايخطب إلا الفتاه التى يختارها بين مئات من النساء والتى تتفق معه فى ميولها وعاداتها وطبيعتها .

فى العصر الماضى وعلى عهد أجدادنا كان يكفى أن يسأل الشاب عن أسرة الفتاه وعن مدى تدينهم وخلقهم . . ثم بعد ذلك يتقدم لخطوبتها بغير تردد . . . وكانت الزيجات تتم على رأى الخاطبة وأختيارها . . وهى غالباً امرأة جاهلة لاتفقه من الحياة الزوجية إلا أن تكون المرأة وعاء للنسل وللشهوة . . وكان الشاب يرسل أمه أو أخته لترى الفتاه وتجالسها . . فكانت الأم تشد شعر العروسة خوفاً من أن

تكون صلعاء . . وتعطيها بعض النقل والمكسرات لتتأكد من سلامة أسنانها . . وتحضنها بشدة وتتلمس صدرها خوفاً من أن يكون غير طبيعى . .

تماماً كما يفعل الإنسان عندما يشترى دابة ليركبها أو عبداً ليخدمه . وكان هذا الأسلوب يتناسب مع مجتمع ذلك العصر لأن الشباب كان جاهلا . . وكانت نسبة الأمية أكثر من ٩٠٪ وكان التعليم لا يزيد عن مستوى الكتاب و بعض الحساب . .

أما اليوم وقد أصبح الشباب ينال أعلا الشهادات فى الطب أو الهندسة أو الكمبيوتر فكيف يتصور إنسان عاقل أن نطلب منه الزواج من شريكة عمره كله ورفيقة حياته عن طريق أم عجوز أو خاطبة جاهلة . . .

إن الشاب المتعلم المثقف يختلف عن الجلف الجاهل بأن الأول يعيش فى هذه الدنيا بأحاسيسه وبعقله .

بينما الثانى يعيش بجسمه وغرائزه وشهوته .

— الأول يريد من شريكه الحياه أن تكون صديقة عمره وشريكته فى الرأى . . وحبيبته التى يعتز بها ويفضى إليها بكل أسراره .

— والثانى : يريد من الزوجة أن تكون وعاء لتفريغ

الشهوة وإنجاب الأطفال . . وخادمة فى البيت تنظفه وتجهز الطعام .

النوع الأول يكتفى بزوجة واحدة لأنه يريد أن يقاسمها كل شىء فى الحياة .

والنوع الثانى . . مطلاق مزواج . . لا يكتفى بأى عدد . . لأنه أقرب إلى الحيوان البدائى . . فمن الظلم على مثل هذا الإنسان المتعلم المرهف الحس أن نجعله يرتبط بفتاه لايعرف عنها شيئاً أكثر مما تعرفه الخاطبة الجاهلة . . قد تكون هذه الفتاه جميلة جداً . . ومتدينة جداً . . وابنة أسرة كريمة . ومتعلمة وفيها كل الشروط . المثالية فهل هذا يكفى لاستمرار الحياة الزوجية بينهما .

— قد يكون أحدهما سطحياً ساذجاً رغم التعليم والشهادات بينما الآخر عميق التفكير .

— قد يكون أحدهما عصبياً حاد المزاج بينما الآخر يحب الهدوء وراحة البال . .

— قد يكون أحدهما من النوع المنطوى الذى لا يحب الحياة الاجتماعية . بينما الآخر لا يستطيع البعد عن الناس . . وعن المجتمع . .

— إن البشر ليسوا بالبساطة التى يتصورها بعض الناس ٥ .

— وكلما ازداد الإنسان علماً وثقافة . . وكلما اتسع أفقه واطلاعه . كلما زادت نفسه عمقاً . . وتعقيداً . . وكلما زادت مطالبه من الحياة ومن شريك الحياة . . . .

النفس البشرية فيها الحب والكره . .

فيها الطيبة وفيها المكر . . وفيها الخير والشر . .
فيها الخيال والفن والإبداع . . أو الخمول والاستكانة والفشل . .

ومن أهم العناصر التى تنمى جانب الخير فى الإنسان نجاحه فى حياته الزوجية . . ووفاقه مع شريك حياته . .
ومن أهم دعائم هذا النجاح أن يشعر كل من الزوجين فى حياته بأنه يحب ويحب .

وأن يجد من يتجاوب معه روحياً وذهنياً . .

وما أصدق المثل الذى يقول « وراء كل رجل عظيم امرأة »

ويكمل هذا المثل بقولنا « ووراء كل رجل فاشل امرأة »

ولن أطيل فى الحديث عن الاختلاط فى هذا الكتاب . . فالقضية أهم وأخطر من أن نمر بها مروراً عابراً فى كتاب صغير . . وسوف أتناولها فى كتاب مستقل يصدر بعد كتابى

هذا بإذن الله بعنوان (الاختلاط)[1] بحيث نشرح بصورة وافية تعاليم الإسلام فيها وكيف كانت تطبق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين . . ومتى نشأت مشكلة الاختلاط فى المجتمع الإسلامى ومتى منع . . وكيف نطبق الاختلاط فى مجتمع إسلامى مثالى معاصر . . ونتقى محاذيره التى نراها من سوء التطبيق فى الغرب .

• • •

(١) كتاب « الإختلاط فى الدين وفى التاريخ وفى علم الاجتماع للمؤلف » — الهيئة العامة للكتاب :